

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة النمل مكية

طَسَّ بِكَ أَيَّتُهَا الْفَرَسَانِ وَكِتَابٍ ثَمِينٍ ﴿٦﴾.

﴿طس﴾ قرئ بالتفخيم والإمالة و﴿تلك﴾ إشارة إلى آيات السورة، والكتاب المبين: إما اللوح وإبانتته أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للنظرين فيه إبانة وإما السورة، وإما القرآن وإبانتتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع وأن إعجازهما ظاهر مكشوف وإضافة الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لأن المضاف إلى العظيم يعظم؛ بالإضافة إليه.

فإن قُلْتُ: لم نكر الكتاب المبين؟ قُلْتُ: ليبهم بالتنكير فيكون أقمح له كقوله تعالى: ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ (7).

فإن قُلْتُ: ما وجه عطفه على القرآن إذا أريد به القرآن؟ قُلْتُ: كما يعطف إحدى الصفتين على الأخرى في نحو قولك: هذا فعل السخي والجواد الكريم؛ لأن القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح، فكانه قيل: تلك الآيات آيات المنزل المبارك أي كتاب مبين وقرأ ابن أبي عتبة: وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

فإن قُلْتُ: ما الفرق بين هذا وبين قوله: ﴿ألم تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ (8)؛ قُلْتُ: لا فرق بينهما إلا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين: ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب، وضرب فيه ترجح فالأول نحو قوله تعالى: وقولوا حطة وانخلوا الباب سجداً ومنه ما نحن بصنده والثاني نحو قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾ (9).

هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦﴾.

﴿هدى وبشرى﴾ في محل النصب أو الرفع، فالنصب على الحال أي: هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة والرفع على ثلاثة أوجه: على هي هدى

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَدْرٍ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٦٧﴾.

استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة، ومدح رسول الله ﷺ والصحابة وصلحاء الأمة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلخون فيها بنذب، ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ (1)، وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (2)، وعن عمر بن عبید: أن رجلاً من العلوية قال له: إن صدري ليجيش بالشعر فقال: فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه: أن الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل: المراد بالمستثنين: عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان: كعب بن مالك وكعب بن زهير، والذين كانوا ينافحون عن رسول الله ﷺ ويكافحون هجة قريش، وعن كعب بن مالك: أن النبي ﷺ قال له: «أهجم فولذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبيل» (3) وكان يقول لحسان: قل وروح القدس معك (4)، ختم السورة بأية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول ولا أنكى لقلوب المتأملين، ولا أصدع لأكباد المتدبرين وذلك قوله: ﴿وسيعلم﴾ وما فيه من الوعيد البليغ وقوله: ﴿الذين ظلموا﴾ وإطلاقه وقوله: ﴿أي منقلب ينقلبون﴾ وإبهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه (5) وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل، ولأن تخاف فتبلغ الأمن خير من أن تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس: أي منقلت ينقلتون، ومعناها: إن الذين ظلموا يطمعون أن ينقلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو: النجاة. اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله أعلم بالصواب. قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكتب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم وبعدد من كتب يعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام» (6).

(1) سورة النساء، الآية: 148.

(2) سورة البقرة، الآية: 194.

(3) أخرجه عبد الرزاق: 263/11، (الحديث: 20500)، وأخرجه الترمذي في كتاب: الأدب، باب: ما جاء في إنشاد الشعر، (الحديث: 2847).

(4) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، الحديث: (3212 و3213)، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل حسان بن ثابت، الحديث: (151 - 2485).

(5) أبو حاتم وابن سعد في الطبقات، الزيلعي 481/2 - 482.

(6) نكرة الثعلبي وابن مردويه والواحد في التفسير، الزيلعي 2/483.

(7) سورة القمر، الآية: 55.

(8) سورة الحجر، الآية: 1.

(9) سورة آل عمران، الآية: 18.

عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر، والطريق الثاني: أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند إليه؛ لأن المجاز الحكمي يصححه بعض الملابس، وقيل: هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا<sup>(4)</sup> ويعزى إلى الحسن، والعمه: التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الأعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط، فقال: رأيت الناس عمهين أراد: مترددين في أعمالهم وأشغالهم.

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرَوْا الْعَذَابَ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَمُمٌّ بِالْأَخْسَرِينَ ﴿٥﴾.

﴿سوء العذاب﴾ القتل والأسر يوم بدر، و﴿الأخسرون﴾ أشد الناس خسراً؛ لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله.

وَلَيْكَ لِلَّهِ الْكُرْبَاتُ مِنَ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾.

﴿تلقي القرآن﴾ لتؤتاه وتلقنه ﴿من﴾ عند أي ﴿حكيم﴾ وأي ﴿عليم﴾ وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقباص وما في ذلك من لطائف حكمته ودفائق علمه.

إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ إِنِّي كُنْتُ نَارًا سَائِرَةً فِيهَا فَخَرِّهُ أَوْ أَعِينِكُمْ بِشَابِ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصَلَّوْنَ ﴿٧﴾.

﴿إذ﴾ منصوب بضمير وهو: انكر كانه قال على أثر ذلك: خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز أن ينتصب بعليم، وروي أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته، وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك أو ورد الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله: امكثوا، الشهاب: الشعلة

وبشرى وعلى البذل من الآيات وعلى أن يكون خيراً بعد خبر أي: جمعت أنها آيات وأنها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين أنها زائدة في هداها قال الله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً﴾<sup>(1)</sup>.

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾.

فإن قلنت: ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ كيف يتصل بما قبله؟ قلنت: يحتمل أن يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية.

كانه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون، ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية، وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها: وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح؛ لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق<sup>(2)</sup>.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبَّكَ لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَمَنْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾.

فإن قلنت: كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته، وقد أسنده إلى الشيطان في قوله: ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾<sup>(3)</sup> قلنت: بين الإسنادين فرق وذلك أن إسناده إلى الشيطان حقيقة وإسناده إلى الله عز وجل مجاز وله طريقان في علم البيان أحدهما: أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني أن يكون من المجاز الحكمي، فالطريق الأول: أنه لما متعتهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم، وبطهرهم وإيثارهم الروح والترفة ونفاهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة، فكانه زين لهم بذلك أعمالهم وإليه أشارت الملائكة صلوات الله

(1) سورة التوبة، الآية: 124.

(2) قال أحمد: قد تقدم في غير موضع اعتقاد أن إيقاع الضمير مبتدأ يفيد الحصر، كما مر له في قوله تعالى: ﴿هم ينشرون﴾ أن معناه: لا ينشر إلا هم، وعد الضمير من آلات الحصر كما مر ليس بيبين، وقد بينا لمجيء الضمير في سورة اقترب وجهاً سوى الحصر، وأما وجه تكراره هنا والله أعلم، فهو أنه لما كان أصل الكلام وهم يوقنون بالآخرة، ثم قدم المجرور على عامله عنابة به فوقع فاصلاً بين المبتدأ والخبر، فأريد أن يلي المبتدأ خبره، وقد حال المجرور بينهما فطري نكرة ليليه الخبر، ولم يفت مقصود العناية بالمجرور حيث بقي على حاله مقدماً، ولا يستنكر أن تعاد الكلمة مفصولة له وحدها بعدما يوجب النظرية، فأقرب منها أن الشاعر قال:

سق نو عجل ذا والحفنا بذًا الشحم إنا قد مللنا بخل  
والأصل والحقنا بهذا الشحم فوق منتصف الرجز أو منتهاه، على القول بأن مشطور الرجز بيت كامل عند اللام وبنيت الشاعر على أنه لا بد عند المنتصف أو المنتهى من وقفة ماء، ففتنر بتلك الوقفة بعد أن بين المعرف وآلة التعريف فطراها ثانية، فهذه النظرية لم تتوقف على أن يحول بين الأول وبين المكرر، ولا كلمة واحدة سوى تقديره وقفة لطيفة لا غير، فتأمل هذا الفصل، فإنه جدير =

= بالتأمل، والله أعلم.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 38.

(4) قال أحمد: وهذا الجواب مبني على القاعدة الفاسدة في إيجاب رعاية الصلاح والأصلح، وامتناع أن يخلق الله تعالى للبعد إلا ما هو مصلحة، فمن ثم جعل إسناد التزيين إلى الله تعالى مجازاً وإلى الشيطان حقيقة، ولو عكس الجواب لغاز بالשובاب، وتأمل ميله إلى التاويل الآخر من أن المراد أعمال البر على بعده؛ لأنه لا يعرض لقاعدته بالنقض، وأتى لهم ذلك وقد أتى الله بنيانهم من القواعد على أن التزيين قد ورد في الخير في قوله تعالى: ﴿ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ على أن غالب وروده في غير البر كقوله: ﴿زين للناس حب الشهوات﴾ زين للذين كفروا الحياة الدنيا، وكذلك زين لكثير من المشركين، ومما يبعد حمله على أعمال البر إضافة الأعمال إليهم في قوله: أعمالهم، وأعمال البر ليست مضافه إليهم؛ لأنهم لم يعملوها قط، فظاهر الإضافة يعطي ذلك، الا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ وقوله: ﴿قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾ فاطلق الإيمان في المكانين عن إضافته إليهم؛ لأنه لم يصدر منهم، وأضاف الإسلام الظاهر إليهم؛ لأنه صدر منهم، والله أعلم.

صلوات الله عليهم ومهبط الوحي إليهم، وكفاتهم أحياء وأموثاً.

يُرْسِخَ فِيهِمْ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾.

فإن قُلْتُ: فما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه؟ قُلْتُ: هي بشارة له بأنه قد قضى أمر عظيم تنتشر منه في أرض الشام كلها البركة ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وإيدان بأن ذلك الأمر مريده ومكوّنه رب العالمين تنبيهاً على أن الكائن من جلائل الأمور وعظام الشؤون. الهاء في ﴿إنه﴾، يجوز أن يكون ضمير الشأن والشأن ﴿أنا الله﴾ مبتدأ وخبر ﴿العزیز الحكيم﴾ صفتان للخبر وأن يكون راجعاً إلى ما دل عليه ما قبله يعني: أن مكلّمك أنا والله بيان؛ لانا و﴿العزیز الحكيم﴾ صفتان للمبين، وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة يريد أن القويّ القادر على ما يعبد من الأوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتبدير.

وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا نُجُودًا مَلَأَتْ رُءُوسَ السَّمَاوَاتِ وَرُءُوسَ الْبُحْرِ وَنَسَبَنَ لَهَا لُجُودًا وَرُءُوسَ السَّمَاوَاتِ وَرُءُوسَ الْبُحْرِ لَأَنَّهُ رُءُوسَ السَّمَاوَاتِ وَرُءُوسَ الْبُحْرِ ﴿٢﴾.

فإن قُلْتُ: علام عطف قوله: ﴿واللق عصاك﴾! قُلْتُ: على ﴿بورك﴾؛ لأن المعنى ﴿نودي أن بورك من في النار﴾ ﴿وإن ألق عصاك﴾ كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له: بورك من في النار وقيل له: ألق عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وإن ألق عصاك﴾<sup>(4)</sup> بعد قوله ﴿إن يا موسى إني أنا الله﴾<sup>(5)</sup> على تكرير حرف التفسير كما تقول: كتبت إليك أن حج وإن اعتمر وإن شئت أن أحج واعتمر، وقرأ الحسن: ﴿جان﴾ على لغة من يجد في الهرب من التقاء الساكنين فيقول: شابة ودابة ومنها قراءة عمرو بن عبدي ولا الضالين ﴿ولم يعقب﴾ لم يرجع يقال: عقب المقاتل إذا كز بعد الفرار قال:

فما عقبوا إذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلاً وإنما رعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به ويدل عليه ﴿إني لا يخاف لدي المرسلون﴾، و﴿إلا﴾ بمعنى لكن؛ لأنه لما أطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك.

إِلَّا مَنْ ظَنَّ أَنَّ بَدَلًا خَسَنًا مِمَّا سَوَّاهُ وَإِنِّي عَنْهُ رَبِّيمُ ﴿٣﴾ وَأَذِخْ لَكَ فِي حَيَاتِكَ مَخْرَجًا مِمَّنَّاهُ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ فِي تَبَعٍ وَأَنْتَ إِلَيْنَا رُءُوسُ الْقَوْمِ ﴿٤﴾.

والمعنى: ولكن من ظلم منهم أي: فرطت منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء كالذي فرط من أمم ويونس ودأود

والقبس: النار المقبوسة وأضاف الشهاب إلى القبس؛ لأنه يكون قبساً وغير قبس ومن قرأ بالتونين جعل القبس بدلاً أو صفة لما فيه من معنى القبس، والخبر ما يخبر به عن حال الطريق؛ لأنه كان قد ضله.

فإن قُلْتُ: ﴿سأتيتكم منها بخبر﴾، و﴿علي أتيتكم منها بخبر﴾<sup>(1)</sup> كالتدافعين؛ لأن أحدهما ترج والآخر تيقن! قُلْتُ: قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه: سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة.

فإن قُلْتُ: كيف جاء بسين التسوييف؟ قُلْتُ: عدة لاهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة.

فإن قُلْتُ: فلم جاء بـ﴿أو﴾ بون الواو؟ قُلْتُ: بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق، وإما اقتباس النار ثقة بعبادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده، وما أراه حين قال: ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعاً وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة.

لَمَّا جَاءَهَا نُودَى أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾.

﴿أن﴾ هي المفسرة؛ لأن النداء فيه، معنى القول: والمعنى قيل: له بورك.

فإن قُلْتُ: هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره ﴿نودي﴾ بأنه بورك، والضمير ضمير الشأن! قُلْتُ: لا لأنه لا بد من قد.

فإن قُلْتُ: فعلى إضمارها! قُلْتُ: لا يصح لأنها علامة لا تحذف، ومعنى ﴿بورك من في النار ومن حولها﴾ بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المنكورة في قوله تعالى: ﴿نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة﴾<sup>(2)</sup> وتدل عليه قراءة أبي تباركت الأرض ومن حولها، وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحولها حدوث أمر نبيني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له، وإظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في أقاصيها ويثبت آثار يمنه في أبعادها، فكيف بمثل ذلك الأمر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل: المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون، والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض وفي تلك الوادي وحوليهما من أرض الشام ولقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة في قوله: ﴿ونجيناها ولو طأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾<sup>(3)</sup> وحقت أن تكون كذلك فهي مبعث الأنبياء

(4) سورة القصص، الآية: 31.

(5) سورة القصص، الآية: 30.

(1) سورة القصص، الآية: 29.

(2) سورة القصص، الآية: 30.

(3) سورة القصص، الآية: 71.

والكسر كما قرئ: عُنْيًا وَعَيْتًا، وفائدة نكر الانفس أنهم جعلوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان أبلغ من الإيقان، وقد قوبل بين المبصرة والمبين وأي ظلم أفسح من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات بيينة واضحة جاءت من عند الله، ثم كابر بتسميتها سحرًا بيّنًا مكشوفًا لا شبهة فيه.

وَلَقَدْ مَأْيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلِمَاءَ وَأَلَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾

﴿عِلْمَاءَ﴾ طائفة من العلم أو علماء سنياً غزيراً<sup>(3)</sup>.

فإن قُلْتُ: ليس هذا موضع الفاه دون الواو كقولك: أعطيته فشكر ومنعته فصبراً! قُلْتُ: بلى ولكن عطفه بالواو إشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه، فأضمر نك ثم عطف عليه التحديد كانه قال: ولقد أتيناها علماءً فعملا به وعلما وعرضا حق النعمة فيه، والفضيلة ﴿وقالوا الحمد لله الذي فضلنا﴾ والكثير المفضل عليه من لم يؤت علماً أو من لم يؤت مثل علمهما، وفيه انهما فضلاً على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم، وأجزل القسم وأن من أوتيها فقد أوتي فضلاً على كثير من عباد الله كما قال: ﴿والذين أوتوا العلم درجات﴾<sup>(4)</sup> وما سماهم رسول الله ﷺ ورثة الانبياء<sup>(5)</sup> إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله، وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها أن يحموا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التنكير بالتواضع، وأن يعتقد العالم أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر كل الناس أقره من عمر<sup>(6)</sup>.

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِمْنَا مَقَاطِعَ أَعْيُنِنَا وَوَرِثْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَإِنَّا لَهُمُ الْفَضْلُ الْأَكْبَرُ ﴿١٦﴾

ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود أكثر تعبدًا وسليمان أفضى وأشكر لنعمة الله ﴿وقال يا أيها للناس﴾ تشهيراً لنعمة الله وتبنيها بها واعترافاً بإمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطلق الطير، وغير ذلك مما أوتيها من عظام الأمور والمنطق كل ما يصوت به من

وسليمان، وإخوة يوسف ومن موسى بوكزة القبطي ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلفظ مأخذها وسماء ظلماً كما قال موسى: رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي. والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بحرف التنبيه، وعن أبي عمر وفي رواية عصمة حسناً و﴿في تسع آيات﴾ كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف، والمعنى: اذهب في تسع آيات ﴿إلى فرعون﴾ ونحوه:

فقلت إلى الطعام فقال: منهم فريق يحسد الإنس الطعام ويجوز أن يكون المعنى ﴿وإلى عصاك﴾ و﴿أدخل يدك﴾ في تسع آيات أي: في جملة تسع آيات وعادتهن ولقائل أن يقول: كانت الآيات إحدى عشرة: ثنتان منها اليد والعصا والتسع: الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجذب في بواديهم والنقصان في مزارعهم المبصرة الظاهرة البينة جعل الإبصار لها وهو في الحنيفة لمتأملها لأنهم لا بسوها، وكانوا بسبب منها ينظروهم وتفكرهم فيها ويجوز أن يراد بحقيقة الإبصار كل ناظر فيها من كافة أولى العقل وإن يراد إبصار فرعون وملكه لقوله: ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾، أو جعلت كأنها تبصر فتهدى لأن العمى لا تقدر على الاهتداء فضلاً أن تهدى غيرها ومنه قولهم: كلمة عينا وكلمة عوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوى ونحوه قوله تعالى: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات﴾<sup>(1)</sup>.

فَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ آيَاتِنَا جِئِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾

والأرض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالإبصار وقرأ علي بن الحسين رضي الله عنهما وقاتادة مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخله ومجفرة أي مكاناً يكثر فيه التصير.

وَجَعَلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ظُلُمًا مَّظْلُمًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٨﴾

الواو في ﴿واستيقنتها﴾ أو الحال وقد يعدها مضمرة والعلو: الكبر والترفع عن الإيمان بما جاء به موسى كقوله تعالى: ﴿فاستكبروا وكانوا قوماً عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾<sup>(2)</sup> وقرئ: عَلِيًّا وَعَلِيًّا بِالضَّم

(1) سورة الإسراء، الآية: 102.

(2) سورة المؤمنون، الآية: 46 - 47.

(3) قال أحمد: التبعض والتقليل من التنكير، وكما يرد للتقليل من شأن المنكر فكذلك يرد للتعظيم من شأنه، كما مر آنفاً في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ ولم يقل: الحكيم العليم، والغرض من التنكير التفتيح، كانه قال: من لدن حكيم عليم، فظاهر قوله: ﴿ولقد أتينا داود وسليمان علماء﴾ في سياق الامتتان تعظيم العلم الذي أوتياه، كانه قال: علماء أي: علم وهو كذلك، فإن علمهما كان مما يستعظم ويستغرب، ومن ذلك علم

== منطلق الطير وسائر الحيوانات التي خصهما الله تعالى به، وكل علم بالإضافة إلى علم الله تعالى قليل ضئيل، والله أعلم.

(4) سورة المجادلة، الآية: 11.

(5) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب: العلم، باب: الحث على طلب العلم، (الحديث: 3641)، والترمذي في كتاب: العلم، باب: فضل الفقه على العبادة، (حديث: 2683)، وابن ماجه في المقدمة، (حديث: 223)، وابن حبان في كتاب: العلم (حديث: 88).

(6) راجع حديث رقم 334، سورة النساء.

بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجنّ بساطاً من ذهب، وإبريسم فرسخاً في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب، وفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس، وحول الناس الجنّ والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله، ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض أنني قد زدت في ملكك لا يتكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال: لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً فالقته الريح في أذنه فنزل، ومضى إلى الحراث وقال: إنما مشيت إليك لثلاث تمنى ما لا تقدر عليه ثم قال: لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما أوتي آل داود ﴿يوزعون﴾ يحبس أولهم على آخرهم أي: توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة.

حَقَّ إِذَا أَوَّأَ عَلَى وَادٍ أَسْتَلَّ قَالَتْ نَمْلَةٌ بِتَأْتِيهَا أَسْتَلُّ أَدْعُلُو سَكِينَكُمْ لَا يَحْمِلَنَّكُمْ سَكِينٌ وَحُودٌ وَمُرٌّ لَا يَنْعُرُونَ (٧٠).

قيل: هو واد بالشام كثير النمل.

فإن قلت: لم عدى ﴿أتوا﴾ بـ﴿على﴾؟ قلت: يتوجه على معنيين: أحدهما: أن إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب:

ولشدة ما قربت عليك الأنجم

لما كان قريباً من فوق. والثاني: أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم: أتى على الشيء إذا أنفذه وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادي لأنهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم، وقرئ: ﴿نملة يا أيها النمل﴾ بضم الميم وبضم النون والميم وكان الأصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم: السبع في السبع قيل: كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فئات: ﴿يا أيها النمل﴾ الآية فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال، وقيل: كان اسمها طاخية وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال: سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضراً، وهو غلام حدث فقال: سلوه عن نملة سليمان أكانت نكراً أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة: كانت أنثى فقيل له: من أين عرفت؟ قال: من كتاب الله وهو قوله: ﴿قالت نملة﴾ ولو كانت نكراً لقال قال: نملة<sup>(١)</sup> وذلك أن النملة مثل الحمامة

المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب بن السكيت كتابه بإصلاح النطق، وما أصلح فيه إلا مفردات التكلم وقالت العرب: نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته، والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه، ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل نذبه فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول قالوا: الله ونبيه أعلم قال: يقول: أكلت نصف تمره فعلى الدنيا الغفاء وصاحت فاخنة فأخبر أنها تقول: ليت ذا الخلق لم يخلقوا. وصاح طاوس فقال: يقول: كما تدين تدان، وصاح هدهد فقال يقول: استغفروا الله يا مذنبين. وصاح طيطوى فقال: يقول: كل حي ميت وكل جديد بال. وصاح خطاف فقال: يقول: قدموا خيراً تجنوه. وصاحت رخمة فقال: تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه. وصاح قمري فأخبر أنه يقول: سبحان ربي الأعلى. وقال: الحدأ يقول: كل شيء هالك إلا الله. والقطاة تقول: من سكت سلم. والبيغاء تقول: ويل لمن الدنيا همه، والديك يقول: انكروا الله يا غافلين. والنسر يقول: يا ابن آدم عش ما شئت أخرج الموت. والعقاب يقول: في البعد من الناس أنس. والضمفدع يقول: سبحان ربي القدس. وأراد بقوله: ﴿من كل شيء﴾ كثرة ما أوتي كما تقول: فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء تريد: كثرة قصاده ورجوعه إلى غزارة في العلم واستكثار منه ومثله قوله: وأوتيت من كل شيء ﴿إن هذا لهو الفضل المبين﴾ قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»<sup>(١)</sup> أي: أقول هذا القول شكراً ولا أقوله فخراً.

فإن قلت: كيف قال: ﴿علمنا﴾ و﴿أوتينا﴾ وهو من كلام المتكبرين؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يريد نفسه وأباه والثاني: أن هذه النون يقال لها: نون الواحد المطاع وكان ملكاً مطاعاً فلكم أهل طاعته على صفته، وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخمه وإظهار أيبينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجباً وقد كان رسول الله ﷺ يفعل نحواً من ذلك إذا وفد عليه وقد أو احتاج أن يرجح في عين عدوٍ ألا ترى كيف أمر العباس رضي الله عنه بأن يحبس أبا سفيان حتى تمر عليه الكتاب<sup>(٢)</sup>.

وَحَيْثُ رِشْلَمَيْنَ جُودُ مِنْ الْجَيْنِ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهَمْ يُرْعُونَ (٧١).

روي أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة: خمسة وعشرون للجنّ وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له ألف

(١) تقدم في سورة يوسف، الحديث رقم 212.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، في كتاب: أين ركز النبي ﷺ (الحديث: 4280).

(٣) قال أحمد: لا أبري العجب منه أم من أبي حنيفة أن يثبت ذلك عنه، وذلك أن النملة كالحمامة والشاة تقع على الذكر وعلى الأنثى: =

= لأنه اسم جنس يقال: نملة نكر ونملة أنثى، كما يقولون: حمامة نكر وحمامة أنثى، وشاة نكر وشاة أنثى، فلفظها مؤنث، ومعناه محتمل فيمكن أن تؤنث لأجل لفظها، وإن كانت واقعة على نكر، بل هذا هو الفصحح المستعمل ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تضحى بعوراء ولا عجفاء ولا عمياء» كيف أخرج =

على الوالدين خصوصاً النعمة الراجعة إلى الدين، فإنه إذا كان تقياً نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعاوا له وقالوا: رضي الله عنك وعن والديك، وروي أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان الريح فوفقت لثلاً يذعرن حتى يدخلن مساكنهن، ثم دعا بالدعوة<sup>(3)</sup>، ومعنى ﴿وَأَخْلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ واجعلني من أهل الجنة.

وَتَمَتَّدَ الْطَيْرَ فَقَالَ مَا لِي لَأَ أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاصِيحِينَ ﴿٢٠﴾

أم هي المنقطعة نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره فقال: ﴿مالي لا أرى﴾ على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لسائر ستره، أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول: أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم: إنها لإبل أم شاء، ونكر من قصة الهدهد أن سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم وأقام به ما شاء<sup>(4)</sup>، وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير إلى اليمن، فخرج من مكة صباحاً يوم سهيلاً فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضاً حسناء أعجبتة خضرتها، فنزل ليتغذى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقته وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاج<sup>(5)</sup>، فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الإهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهداً واقعاً فانحط إليه، فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء ونكر له صاحبه ملك بلقيس<sup>(6)</sup>، وإن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر ونكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان، فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه، ثم قال لسيد الطير وهو العقاب: علي به فارتفعت فنظرت، فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال: بحق الله الذي قوأك وأقدرك علي إلا رحمتيني، فتركته وقالت: تكلت

والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم: حمامة نكر وحمامة أنثى وهو وهي. وقرئ: مسكنكم، ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ: ﴿لا يحطمنكم﴾ بفتح الحاء وكسرها وأصله يحطمنكم. ولما جعلها قائلة والنمل موقلاً لهم كما يكون في أولى العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم.

فإن قلت: ﴿لا يحطمنكم﴾ ما هو! قلت: يحتمل أن يكون جواباً للأمر وأن يكون نهياً بدلاً من الأمر، والذي جوز أن يكون بدلاً منه أنه في معنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم على طريقة لا أرينك ههنا أراد ﴿لا يحطمنكم﴾ جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ، ونحوه عجبت من نفسي ومن إشفاقها.

فَبَسَّرَ حَاجِكَا بَيْنَ قَوْلَيْهَا وَقَالَ رَبِّ أَرْزُقْنِي أَنْ أَشْكُرَ بِمَنِّكَ الَّذِي أَنْمَتَ لِي وَعَلَى وَرَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذِلِّي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الْمَكِينِينَ ﴿٢١﴾

ومعنى ﴿فتبسّم ضاحكاً﴾: تبسم شارعاً في الضحك وأخذاً به يعني: أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك وكذلك ضحك الأنبياء عليهم السلام وأما ما روي أن رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه<sup>(1)</sup> فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي وإلا فبدت النواجذ على الحقيقة إنما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميع: ضحكا.

فإن قلت: ما أضحكك من قولها! قلت: شيان: إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله، وحالهم في باب التقوى وذلك قولها: ﴿وهو لا يشعرون﴾ تعني: أنهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً من إدراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر، والقلة ومن إحاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما أنعم به عليه من ذلك، وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى<sup>(2)</sup>، وحقيقة أوزعني: اجعلني أزع شكر نعمتك عندي وأكفه، وأرتبطه لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكرًا لك وإنما أدرج نكر والديه لأن النعمة على الولد نعمة

(1) = هذه الصفات على اللفظ مؤنثة، ولا يعني الإنثاء من الأنعام خاصة، فحينئذ قوله تعالى: ﴿قالت نملة﴾ روعي فيه تأنيث اللفظ وأما المعنى، فيحتمل على حد سواء، وإنما أطلت في هذا، وإن كان لا يتمشى عليه حكم؛ لأنه نسبة إلى الإمام أبي حنيفة على بصيرته باللغة، ثم جعل هذ الجواب محبباً لنعمان على غزارة علمه وتبصره بالمنقولات، ثم قرر الكلام على ما هو عليه مصوناً له نياحة العجب العجائب، والله الموفق للصواب.

(2) = أخرجه البخاري في كتاب: التفسير ومن سورة الزمر، باب: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ (الحديث رقم: 4811)، أخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: صفة القيامة، والجنة والنار، (الحديث رقم: 20 - 2786).

(3) = أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: يقبض الله.. (الحديث رقم: 6520).

(4) = أخرجه مسلم في كتاب: الطلاق، باب: بيان أن تخيير امراته لا يكون طلاقاً... (الحديث رقم: 29 - 1478).

(5) = أخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة ذي قرد وغيرها، (الحديث رقم: 132 - 1807).

(6) = أخرجه أبو داود في كتاب: الطلاق، باب: من قال بالقرعة إذا تنازعا في الولد (الحديث رقم: 2269)، والحاكم في المستدرک 2/ 207.

(1) = هذه الصفات على اللفظ مؤنثة، ولا يعني الإنثاء من الأنعام خاصة، فحينئذ قوله تعالى: ﴿قالت نملة﴾ روعي فيه تأنيث اللفظ وأما المعنى، فيحتمل على حد سواء، وإنما أطلت في هذا، وإن كان لا يتمشى عليه حكم؛ لأنه نسبة إلى الإمام أبي حنيفة على بصيرته باللغة، ثم جعل هذ الجواب محبباً لنعمان على غزارة علمه وتبصره بالمنقولات، ثم قرر الكلام على ما هو عليه مصوناً له نياحة العجب العجائب، والله الموفق للصواب.

(2) = أخرجه البخاري في كتاب: التفسير ومن سورة الزمر، باب: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ (الحديث رقم: 4811)، أخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: صفة القيامة، والجنة والنار، (الحديث رقم: 20 - 2786).

(3) = أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار،

لا يخفى منه معلوم قالوا: وفيه دليل على بطلان قول الرافضة أن الإمام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه. سبأ قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء، وعن ابن كثير في رواية سبأ بالالف كقولهم: ذهبوا أيدي سبأ وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فمن جعله اسماً للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسماً للحي أو الأب الأكبر صرف قال:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما  
وقال:

الواربون وتيم في نرى سبأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس  
ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن أد، ويحتمل أن يراد المدينة والقوم. والنبأ الخبر الذي له شأن. وقوله: ﴿من سبأ نبياً﴾ من جنس الكلام الذي سماه المحذثون البديع، وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعاً أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائداً على الصحة فحسن وبدع لفظاً، ومعنى ألا ترى أنه لو وضع مكان نبياً بخبر لكان المعنى صحيحاً وهو كما جاء أصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال.

إني وبيد امرأة تليكنهم وأريت من كليل شئو وكأ عرش  
عظيم (١٣)

المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وقد ولده أربعون ملكاً ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك، وكانت هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس والضمير في ﴿تملكهم﴾ راجع إلى سبأ فإن أريد به القوم فالأمر ظاهر وإن أريدت المدينة فمعناه تملك أهلها، وقيل في وصف عرشها: كان ثمانين ذراعاً في ثمانين وسمكة ثمانين وقيل: ثلاثين مكان ثمانين وكان من ذهب وقضة مكملها بأنواع الجواهر وكانت قواتهم من ياقوت أحمر وأخضر ودرّ وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب معلق.

فإن قلت: كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان؟ قلت: يجوز أن يستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش، ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وإن عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض أمراء الأطراف شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم أمرهم، ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله: ولها عرش ثم يبتدىء عظيم.

وجدها وقومها يسجدون لثنتين من دون الله ورزق لهم الشيطان  
أعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون (١٤)

﴿وجدها﴾: يريد أمر عظيم أن وجدتها وقومها

أَمْك إن نبي الله قد حلف ليعذبك قال: وما استثنى قالت: بلى قال: وليأتيني بعذر مبين<sup>(١)</sup>، فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض تواضعاً له فلما دنا منه أخذ برأسه فمدّه إليه فقال: يا نبي الله انكر وقوفك بين يدي الله، فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأل.

لأعذبت عذاباً شديداً أو لأذبحنّه أو ليأتيني بسطنّين (١٥)

تعذيبه أن يؤتّب بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه، وقيل: كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه وقيل: أن يطلي بالقطران ويشمس وقيل: أن يلقى للنمل تاكله وقيل: إيداعه القفص، وقيل: التفريق بينه وبين ألفه وقيل: لألزمته صحبة الأضداد، وعن بعضهم: أضيق السجون معاشره الأضداد، وقيل: لألزمته خدمة أقرانه.

فإن قلت: من أين حلّ له تعذيب الهدد؟ قلت: يجوز أن يبيح له الله ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة، كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع وإذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر له من أجله إلا بالتأنيب والسياسة جاز أن تباح له ما يستصلح به، وقرئ لياتيني وليأتين. والسلطان الحجة والعذر.

فإن قلت: قد حلف على أحد ثلاثة أشياء فحلفه على فعلية لا مقال فيه ولكن كيف صحّ حلفه على فعل الهدد، ومن أين درى أنه يأتي بسطان حتى يقول: ﴿أو لياتيني بسطان﴾! قلت: لما نظم الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه إلى قولك ليكون أحد الأمور، يعني: إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء نراية على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه سيأتيه بسطان مبين فثلث بقوله: ﴿أو لياتيني بسطان مبين﴾ عن نراية وإيقان.

فمكك غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من  
سبي وئر بين (١٦)

﴿فمكك﴾ قرئ بفتح الكاف وضمها ﴿غير بعيد﴾ غير زمان بعيد كقوله: عن قريب ووصف مكته بقصر المدّة للدلالة على إسرعه خوفاً من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرّاً له ولبيان ما أعطى من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله تعالى ﴿أحطت﴾ بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق اللهم الله الهدد فكفاح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه، وتنبهها على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاد. علماً بما لم يحط به لتحقاق إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة والإحاطة بالشيء علماً أن يعلم من جميع جهاته

وقيل: كلام رب العزة وفي إخراج الخبء أمانة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض، وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السموات والأرض جلت قدرته ولطف علمه، ولا يكاد تخفي على ذي الفراسة النظائر بنور الله مخائل كل مختص بصناعة أو فن من العلم في رواته ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملاً إلا ألقى الله عليه رداء عمله.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** أسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعاً؛ أم في إحداهما؟ **قُلْتُ:** هي واجبة فيهما جميعاً لأن مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو نهي لمن تركها، وإحدى القراءتين أمراً بالسجود والآخرى نهي للتارك، وقد اتفق أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله على أن سجدة القرآن أربع عشر وإنما اختلفا في سجدة ص فهي عند أبي حنيفة سجدة تلاوة، وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف نون التشديد فغير مرجوع إليه.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** هل يفرق الواقف بين القراءتين؟ **قُلْتُ:** نعم إذا خفف وقف على فهم لا يهتدون، ثم ابتدأ ألا يسجدوا، وإن شاء وقف على ألا ياتم ابتدأ اسجدوا وإذا شدد لم يقف إلا على العرش العظيم.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم؟ **قُلْتُ:** بين الوصفين بون عظيم؛ لأن وصف عرشها بالعظيم، تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٦﴾

ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض، وقرئ: **﴿العظيم﴾** بالرفع.

﴿قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (١٧).

**﴿سَنْظُرُ﴾** من النظر الذي هو التأمل والتصفح. وأراد: أصدقت أم كذبت، إلا أن **﴿كنت من الكاذبين﴾** (١) أبلغ؛ لأنه إذا كان معروفاً بالانحراف في سلك الكاذبين كان كاذباً لا محالة وإذا كان كاذباً اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به.

أَذْهَبَ بِكَفِّي هَذَا فَأَلْفَيْهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ نَزَلَ عَنْهُمْ فَأَنْظَرَ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

**﴿تول عنهم﴾** تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك و**﴿يرجعون﴾** من قوله تعالى: **﴿يرجع بعضهم إلى بعض﴾** (٢) القول فيقال: دخل عليها من كوة فالتقى الكتاب إليها وتوارى في الكوة.

يسجدون للشمس، فر من استعظام الهدهد عرشها فوق في عظيمة وهي مسخ كتاب الله.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** كيف قال **﴿وأوتيت من كل شيء﴾** مع قول سليمان، وأوتينا من كل شيء كأنه سوى بينهما؟ **قُلْتُ:** بينهما فرق بين؛ لأن سليمان عليه السلام عطف قوله: على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منق الطير فرجع أولاً إلى ما أوتي من النبوة والحكمة وأسباب الدين، ثم إلى الملك وأسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد إلا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلداه قريبة وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومارب، **قُلْتُ:** لعل الله عز وجل أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** من أين للهدهد التهدي إلى معرفة الله، ووجوب السجود. له وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وتزيينه؟ **قُلْتُ:** لا يبعد أن يلهمه الله ذلك كما ألهمه، وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي يكاد العقلاء الرجاء العقول يهتدون لها ومن أراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصاً في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقتها وجعل تلك معجزة له، من قرأ بالتشديد أراد فصدّهم عن السبيل لئلا يسجدوا، فحنف الجار مع أن ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى: فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو ولا يسجدوا إلا للتنبية ويا حرف النداء ومناداه محنوف كما حنفته من قال:

أيا أسلمي يادارمي على البلبي

وفي حرف عبد الله وهي قراءة الأعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى: ألا تسجدون على الخطاب.

أَلَا بَسَجِدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السُّكُوتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُنْزِلُونَ ﴿١٩﴾

وفي قراءة أبي: **﴿ألا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والأرض ويعلم سركم وما تعلنون﴾** وسمى المخبوء بالمصدر وهو النبات، والمطر وغيرهما مما خباه عز وعلا من غيوبه وقرئ: الخبء على تخفيف الهمزة بالحنف والخبء على تخفيفها بالقلب، وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها أن تخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبى، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول: الكلمة والحماة؛ لأنها ضعيفة مسترئلة وقرئ: يخفون ويعلنون والباية والتاء وقيل: من أحطت إلى العظيم هو كلام الهدهد

(2) سورة سبأ، الآية: 31.

(1) قال أحمد: وهذا مما نهت عليه في سورة الشعراء من العلول عن الفعل الذي هو أم كذبت، وعن مجرد صفتة في قوله: أم كنت كاذباً إلى جعله واحداً من اللفظة الموسومة بالكذب، فهو أبلغ في مقصود سياق الآية من التهديد، والله أعلم.

الاستعارة من الفتا في السن والمراد بالفتوى هنا الإشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير وقصدت بالانقطاع إليهم، والرجوع إلى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطفهم وتطبيب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها **﴿قاطعة أمراً﴾** فاصلة، وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: قاضية أي: لابت أمراً إلا بمحضركم وقيل: كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً كل واحد على عشرة آلاف.

قَالُوا عَنْ أَوْلَادِ قَوْمٍ وَأَوْلَادِ بَنِي سَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَأَنْظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ **﴿٣٢﴾**

أرادوا بالقوة: قوّة الأجساد وقوّة الآلات والعدد، وبالبناس: النجدة والبلاء في الحرب **﴿والأمر إليك﴾** أي: هو موكل إليك ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك تطعك ولا نخالفك، كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رأيك، لما أحست منهم الميل إلى المحاربة رأت من الرأي الميل إلى الصلح والابتداء بما هو أحسن ورتبت الجواب فزيفت أولاً ما نكروه وأرتهم الخطأ فيه.

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ **﴿٣٣﴾**

**﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية﴾** عنوة وقهراً **﴿أفسدوها﴾** أي: خربوها ومن ثمة قالوا للفساد: الخبرة، وأنلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فنكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت: **﴿وكذلك يفعلون﴾** أرادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير: لأنها كانت في بيت الملك القديم، فسمعت نحو ذلك ورأت ثم نكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي السديد وقيل: هو تصديق من الله لقولها، وقد يتعلق الساعون في الأرض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لأنفسهم، ومن استباح حراماً فقد كفر فإذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين.

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ رَجَعِ الْمُرْسِلُونَ **﴿٣٤﴾**

**﴿مرسلة إليهم بهدية﴾** أي: مرسله رسلاً بهدية أصانعه بها عن ملكي **﴿فناظرة﴾** ما يكون منه حتى أعمل على حسب تلك فروى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحلبهن الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغطاة بالديباج محلاة للجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجاً مكللاً بالدر

فإن قلت: لم قال: **﴿فألقه إليهم﴾** على لفظ الجمع قلت: لأنه قال: وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال: فألقه إلى الذين هذا دينهم اهتماماً منه بأمر الدين واشتغلاً به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك.

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنَّ إِلَيْنِ إِنَّكُمْ كَتَبْتُمْ كَرِيْمٌ **﴿٣٥﴾**

**﴿كريم﴾** حسن مضمونه، وما فيه أو وصفته بالكريم لأنه من عند ملك كريم أو محتوم قال **﴿كريم﴾**: «كرم الكتاب ختمه»<sup>(١)</sup>، وكان **﴿كريم﴾** يكتب إلى العجم فقيل له أنهم لا يقبلون إلا كتاباً عليه خاتم فاصطنع خاتماً<sup>(٢)</sup>، وعن ابن المقفع: من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به.

يَمْ مِنْ سَائِمِنَ وَإِنَّكُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **﴿٣٦﴾**

وقيل: مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم هو استثناء، وتبين لما ألقى إليها كأنها لما قالت: **﴿إني ألقى إلي كتاب كريم﴾** قيل لها: ممن هو وما هو فقالت: إنه من سليمان وأنه كيت وكيت، وقرأ عبد الله: وأنه من سليمان وأنه عطفاً على إني وقرئ: إنه من سليمان وأنه بالفتح على أنه بدل من كتاب كأنه قيل: ألقى إلى أنه من سليمان، ويجوز أن تريد: لأنه من سليمان ولأنه كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ أبي: أن من سليمان، وأن بسم الله على أن المفسرة.

أَلَا تَمْلَأُوْنَ عَنِّي وَأَتَوْنِي مُسَلِّمِينَ **﴿٣٧﴾**

وأن في **﴿ألا تملأوا﴾** مفسرة أيضاً، لا تملأوا: لا تتكبروا كما يفعل الملوك، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالغين معجمة من الغلو وهو: مجاوزة الحد يروى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تملأوا عليّ وأتوني مسلمين، وكانت كتب الأنبياء عليهم السلام جملاً لا يطيلون ولا يكثر، وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدتها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب، وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية، وقيل: نقرأها فانتبهت فزعة وقيل: أتاها والقادة والجنود حولها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رأت الخاتم ارتفعت وخضعت وقالت لقومها ما قالت: **﴿مسلمين﴾** متفادين أو مؤمنين.

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أُمَّ حَتَّى تَهْدُرِينَ **﴿٣٨﴾**

الفتوى: الجواب في الحادثة اشتقت على طريق

= وعلى ما يقاتلون عليه (الحديث رقم: 2938)، ومسلم في كتاب: اللباس والزينة، باب: اتخاذ النبي **﴿صلى الله عليه وسلم﴾** خاتماً لما أراد أن يكتب إلى العجم.

(1) نكره الواحدي في تفسيره والثعلبي والقضاعي والطبراني في الأوسط، زيلعي 16/3.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: دعوة اليهود والنصارى =

أقول له: أنكر عليك ما فعلت فإنني غني عنه وعليه ورد قوله فما أتاني الله.

**فإن قُلْتَ:** فما وجه الإضراب؟ **قُلْتُ:** لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره أضرب عن تلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو: أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح، إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز أن تجعل الهدية مضافة إلى المهدي ويكون المعنى: بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على إهداء مثلها، ويحتمل أن يكون عبارة عن الرّد كأنه قال: بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها.

أَتَيْتُ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا بَيَّنَّاهُمْ يَجُوزُ لَا يَدُلُّ لَكُمْ بِهَا وَلِتُخْرِجَهُمْ مِنْهَا آدِلَةٌ وَمِنْ صَيْرُورَةٍ ﴿٣٧﴾.

**﴿ارجع﴾** خطاب للرسول وقيل: للهدهد محملاً كتاباً آخر **﴿لا قبل﴾** لا طاقة وحقيقة القبل: المقاومة والمقابلة أي: لا يقدر أن يقابلوهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: لا قبل لهم بهم، الضمير في منها لسبباً، والذل: أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك. والصغار: أن يقعوا في أسر واستعباد، ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكاً.

قَالَ يَكْتَابُ الْمَلَكُ الْإِنَّمَاءَ بِأَيِّ عَرَضٍ قَدَّ أَنْ يَأْتِيَ سُلَيْمَانَ ﴿٣٨﴾.

يرى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان عليه السلام، فجعل عرشها في آخر سبعة آيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الأبواب وولت به حرساً يحفظونه، ولعله أوحى إلى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يغرب عليها ويربها بذلك بعض ما خصه الله به من إجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عليه السلام ويصدقها، وعن قتادة: أن يأخذ قبل أن تسلم لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وقيل: أراد أن يؤتى به فينكر ويغير، ثم ينظر اثبتته أم تنكره اختباراً لعقلها.

قَالَ عَفْرِيَّتُ مِنْ لَيْلِي أَنَا عَلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾.

وقرى: عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا: كان اسمه ذكوان **﴿لقوي﴾** على حملة **﴿أمين﴾** أتى به كما هو لا اختزل منه شيئاً ولا أبهله.

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنَ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَتُكَّرُ لِيُزِيدَهُ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾.

**﴿الذي عنده علم من الكتاب﴾** رجل كان عنده اسم الله

والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقاً فيه درة عزاء وجزعة معوجة الثقب، وبعثت رجلين من اشراف قومها: المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقال: إن كان نبياً ميّز بين الغلمان والجواري وثقب الدرّة ثقباً مستويّاً وسلك في الخرزة خيطاً، ثم قالت للمنذر: إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وإن رأيته بشاً لطيفاً فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمان، فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب والفضة، وأمر بأحسن الدواب في الير والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبّين وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير، فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جنبه واصطفت الشياطين صفوفاً فراسخ والإنس صفوفاً فراسخ والوحش والسباع والهوام والطيور كذلك، فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وأروا الدواب تروث على اللبّين فتقاصرت إليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال: ما وراءكم وقال: أين الحق وأخبرد جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم: إن فيه كذا وكذا ثم أمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها، فجعل رزقها في الشجرة وأخذت بودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها، فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذها يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر: ارجع إليهم، فقالت: هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل، تحت كل قيل الوف.

قَلَّمَ جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُدْرِينِ بِمَا لَمْ آتِنِ: اللَّهُ خَيْرٌ مِنَّمَا آتَيْتُمْ بَلْ أَشْرَ بِهِيْتُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٤١﴾.

وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: فلما جاؤوا **﴿اتمدوني﴾** وقرئ: بحنف الباء والاكتفاء بالكسرة وبالإدغام كقوله: اتحاجوني وبنون واحدة اتمدوني، الهدية اسم المهدي كما أن العطية اسم المعطي فتضاف إلى المهدي والمهدي إليه تقول هذه هدية فلان تريد: هي التي أهداها أو أهديت إليه والمضاف إليه ههنا هو المهدي إليه والمعنى: أن ما عندي خير مما عنديك وذلك أن الله أتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع، وأتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بأن يمدّ بمال ويصانع به **﴿بل أنتم﴾** قوم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، فلذلك **﴿تفرحون﴾** بما تزدون ويهدي إليكم؛ لأن ذلك مبلغ همتمك وحالي خلاف حالكم وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية.

**فإن قُلْتَ:** ما الفرق بين قولك اتمدني بمال وأنا أغني منك وبين أن تقوله بالفاء؟ **قُلْتُ:** إذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالماً بزيائتي عليه في الغنى واليسار، وهو مع ذلك يمدني بالمال وإذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا أخبره الساعة بما لا احتاج معه إلى إمداده، كاتي

مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله. وقرئ: ﴿نَنْظُرُ﴾ بالجزم على الجواب وبالإرفع على الاستئناف ﴿تَهْتَدِي﴾ لمعرفته، أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه أو للدين والإيمان بنبوة سليمان عليه السلام إذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها، وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحرس، هكذا ثلاث كلمات: حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الإشارة.

فَلَمَّا جَاءَتْ فِيلٌ أَمَكَّدَا عَرْشَهُ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾

لم يقل: أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا ف ﴿قالت كأنه هو﴾، ولم نقل هو هو ولا ليس به ونلك من راحة عقلها حيث لم تقع في المحتمل<sup>(1)</sup>.

﴿وَأوتينا العلم﴾ من كلام سليمان وملئه.

فإن قُلْتَ: علام عطف هذا الكلام وبم اتصل اُقْلْتُ: لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابت به مقاماً أجرى فيه سليمان وملؤه ما يناسب قولهم: ﴿وَأوتينا العلم﴾ نحو أن يقولوا عند قولها ﴿كأنه هو﴾: قد أصابت في جوابها، وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الإسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر، وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم: وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها، ولم نزل على دين الإسلام شكر الله على فضلهم عليها وسبقهم إلى العلم بالله والإسلام قبلها.

وَسَدَّهَا مَا كَانَتْ تَبْدُو مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَبْرِ كَثِيرٍ ﴿٤٣﴾

﴿وصدها﴾ عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهرائي الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولاً بقولها: كأنه هو والمعنى: وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان عليه السلام قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة تعني: ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الإسلام، ثم قال الله تعالى: ﴿وصدها﴾ قبل ذلك عما نخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقل: وصدّها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل. وقرئ: أنها بالفتح على أنه بدل من فاعل صد أو بمعنى: لأنها.

قِيلَ لَهَا أَنْزِلِي الصِّرَاحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبِيَّتُهُ لُجَّةٌ وَكَفَّتْ عَنْ سَأْلِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صِرَاحٌ مُرَمَّرٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ

الاعظم وهو: يا حي يا قيوم وقيل: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت وقيل: يا ذا الجلال والإكرام وعن الحسن رضي الله عنه: والرحمن، وقيل: هو أصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وكان صديقاً عالمًا وقيل: اسمه أسطوم وقيل: هو جبريل وقيل: ملك أيد الله به سليمان، وقيل: هو سليمان نفسه كأنه استبطأ العفريت فقال له: أنا أريك ما هو أسرع مما تقول عن ابن لهيعة: بلغني أنه الخضر عليه السلام، ﴿علم من الكتاب﴾ من الكتاب المنزل وهو: علم الوحي والشرايع وقيل: هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل عليه السلام، ﴿وَأوتيك﴾ في الموضوعين يجوز أن يكون فعلاً واسم فاعل. الطرف: تحريك أجفانك إذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفاً بإرساله الطرف في نحو قوله:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً تعبتك المناظر وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد، ومعنى قوله: ﴿قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ أنك ترسل طرفك إلى شيء فقيل أن ترده أبصرت العرش بين يديك، ويروى أن أصف قال لسليمان عليه السلام: مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن، ودعا أصف فغار العرش في مكانه بمأرب ثم نبغ عند مجلس سليمان عليه السلام بالشام بقدره الله قبل أن يرد طرفه، ويجوز أن يكون هذا مثلاً لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك: أفعل كذا في لحظة، وفي ردة طرف والتفت ترني وما أشبه ذلك تريد السرعة ﴿يشكر لنفسه﴾ لأنه يحط به عنها عبء الواجب، ويصونها عن سمة الكفران وترتبط به النعمة ويستمد المزيد، وقيل: الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين أن كفران النعمة بوار وقلما أقمشت نائرة فرجعت في نصابها، فاستدع شاردها بالشكر واستدم رانها بكرم الجوار وأعلم أن سبوغ ستر الله متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقاراً ﴿غني﴾ عن الشكر ﴿كريم﴾ بالإنعام على من يكفر نعمته، والذي قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكراً لربه جرى على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القائمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر.

قَالَ نَكَرُوا لَمَّا عَرَسَهَا نَنْظُرُ أَهْدَيْتِ أَرُّ تَكُونُ مِنَ اللَّيْلِ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤٤﴾

﴿نكروا﴾ اجعلوه متنكراً متغيراً عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه، قالوا: وسعوه وجعلوا

= فنقول: حكمته، والله أعلم. أن كانه هو عبارة عن قرب عنده الشبه حتى شكك نفسه في التغيرات بين الأمرين، فكاد يقول: هو هو، وتلك حال بلقيس، وأما هكذا هو فعبارة جازم بتغيرات الأمرين حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير، فلماذا عدلت إلى العبارة المذكورة في التلاوة لمطابقتها لحالها، والله أعلم. وقول الزمخشري: ولا ليس بهو إن كان من قوله فوهم، والصواب: ولا ليس به، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(1) قال أحمد: وفي قولها: كأنه هو عدولها عن مطابقة الجواب للسؤال بأن تقول هكذا هو نكتة حسنة، ولعل قائلها يقول: كلا العبارتين تشبيه إذ كاف التشبيه فيهما جميعاً، وإن كانت في إحداهما داخلة على اسم الإشارة، وفي الأخرى داخلة على المضمرة، وكلاهما أعني اسم الإشارة والمضمرة واقع على الذات المشبهة، وحينئذ تستوي العبارتان في المعنى، ويفضل قولها هكذا هو بمطابقتها للسؤال، فلا بد في اختيار كانه هو من حكمة، =

مَع سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾.

قولهم واعتقادهم. ثم قال لهم: هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب ﴿لعلمكم ترحمون﴾ تنبيهاً لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلاً فيما اعتقدوه.

قَالُوا أَطَرْنَا بِكَ وَيَمُنُّ بِكَ مَا كُنَّا نَمُوتُ قَالُوا طَرْنَا بِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْكُونَ ﴿٤٧﴾.

وكان الرجل يخرج مسافراً فيمر بطائر فيزجره فإن مر سائحاً تيمناً وإن مر بارحاً تشاماً، فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنا قالوا: طائر الله لا طائر أي: قدر الله الغالب الذي ينسب إليه الخير والشر، لا طائر الذي تشام به وتتيمين فلما قالوا: اطيرنا بكم أي: تشامنا، وكانوا قد قحطوا ﴿قال طائركم عند الله﴾ أي: سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم، ويجوز أن يريد: عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله: ﴿طائركم معكم﴾<sup>(1)</sup> وكل إنسان الزمناه طائرته في عنقه، وقرئ: تطيرنا بكم على الأصل ومعنى تطير به: تشام به، وتطير منه: نفر منه ﴿تفتنون﴾ تختبرون أو تعذبون، أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة.

وَكَانَ فِي الْمَبْنِيِّ تَبَعٌ رَّعِيٌّ يُسْأَلُ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصَلِّحُونَ ﴿٤٨﴾.

﴿المدينة﴾ الحجر. وإنما جاز تمييز التسعة بالرهط لأنه في معنى الجماعة فكانه قيل: تسعة أنفس والفرق بين الرهط والنفر أن الرهط من الثلاثة إلى العشرة أو من السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى التسعة وأسمائهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رباب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخزومة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة، وكانوا عتاة قوم صالح عليه السلام وكانوا من أبناء أشرافهم ﴿ولا يصلحون﴾ يعني: أن شأنهم الإفساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسرين قد يندر منه بعض الصلاح.

قَالُوا تَنَاسَوْا بِاللَّهِ لَنُنَبِّئَنَّكُمْ وَأَهْلَكُمْ ثُمَّ لَنَنْزِلَنَّ لَكُمْ مَهْلِكًا أَهْلِيهِمْ وَإِنَّا لَمَصِيدُونَ ﴿٤٩﴾.

﴿تقاسموا﴾ يحتمل أن يكون أمراً وخبراً في محل الحال بإضمار قد أي: قالوا متقاسمين وقرئ: تقسموا، وقرئ: لتبئنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح إلا أن يكون خبراً والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات

﴿الصرح﴾ القصر وقيل: صحن الدار. وقرأ ابن كثير: ساقبها بالهمز ووجهه أنه سمع سؤفاً، فأجرى عليه الواحد. والممرد: المملس وروي أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض، وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من بواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس، وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاماً لأمره وتحققاً لنبوته وثباتاً على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها، ففوضى إليه بأسرارهم: لأنها كانت بنت جنية وقيل: خافوا أن يولد له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والإنس، فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأظلم فقالوا له: إن في عقلها شيئاً وهي شعراء الساقين ورجلها كحافرا الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش، واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً لا أنها شعراء، ثم صرف بصره وناداه ﴿إنه صرح ممرد من قوارير﴾ وقيل: هي السبب في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين، فاتخذوها واستنكحها سليمان عليه السلام وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان، وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له وقيل: بل زوجها ذا تبع ملك ممدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يضيعة فبنى له المصانع ولم يزل أميراً حتى مات سليمان ﴿ظلمت نفسي﴾ تريد: بكفرها فيما تقدم، وقيل: حسبت أن سليمان عليه السلام يفرقها في اللجة فقالت: ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان عليه السلام.

وَلَمَّا رَأَيْنَا أَنْ كُرِهْنَا أَلَمْنَا أَن نَأْمُرَ بِمَكِيلًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقًا يَخْتَصِمُونَ ﴿٥٠﴾.

وقرئ: ﴿أن اعبدوا﴾ بالضم على اتباع النون الياء ﴿فريقان﴾ فريق مؤمن وفريق كافر وقيل: أريد بالفريقين صالح عليه السلام، وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد ﴿يختصمون﴾ يقول كل فريق: الحق معي.

قَالَ يَعْزُورُ لِمَ سَنَّجِلُونَ يَا لَيْتَنِي قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا سَنَّجِرُونَ اللَّهَ لَمَلَكْتُكُمْ تَرْحُمُونَ ﴿٥١﴾.

﴿السيئة﴾ العقوبة و﴿الحسنة﴾ التوبة. فإن قلت: ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة، وإنما يكون ذلك إذا كانتا متوقعتين إحداهما قبل الأخرى؟ قلت: كانوا يقولون لجهلهم: إن العقوبة التي يعدها صالح عليه السلام إن وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت، وإن لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخطبهم صالح عليه السلام على حسب

وحكمه وعلمكم بذلك أعظم لذنوبكم وأنخل في القبح والسماجة وفيه دليل على أن القبيح من الله أقبح منه من عبادته؛ لأنه أعلم العالمين، وأحكم الحاكمين أو تبصرونها بعضكم من بعض لأنهم كانوا في باديتهم يرتكبونها معالنين بها لا يستتر بعضهم من بعض خلاصة ومجانة، وإنهما كما في المعصية، وكان أبا نواس بنى على مذهبه قوله:

وبح باسم ماتاتي ونرني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر  
أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما تزل بهم.  
فإن قُلْتُ: فسرت ﴿تبصرون﴾ بالعلم وبعده.

أَيْكُمْ لَأَتَوْنَ الرِّمَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ الرِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ ﴿٥٦﴾

﴿بل انتم قوم تجهلون﴾ فكيف يكونون علماء جهلاء؟ قُلْتُ: أراد: تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك، أو تجهلون العاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها.

فإن قُلْتُ: ﴿تجهلون﴾ صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب، فهلا طبقت الصفة الموصوف فقري بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون! قُلْتُ: اجتمعت الغيبة والمخاطبة، فغلبت المخاطبة؛ لأنها أقوى وأرسخ أصلاً من الغيبة.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّظَاهِرُونَ ﴿٥٧﴾

وقرأ الأعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة أحسن. ﴿يتظاهرون﴾ يتنزهون عن القاذورات كلها، فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا إنكارهم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو استتزاء.

فَأَجَبْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَةً قَدَرْنَا مِمَّنْ الْعَنِيَّاتِ ﴿٥٧﴾

﴿قدَرناها﴾ قدَرنا كونها ﴿من العانيات﴾ كقوله: قدَرنا إنها لمن العانيات فالتقدير واقع على الغيور في المعنى.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا سَاءَ مَطَرًا الْمُتَذَرِّينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ لَسْتُ لِلَّهِ وَّسِيْلًا عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْلَفْتُ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ أَمَّا يَشْكُرُونَ ﴿٥٩﴾

أمر رسوله ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء، وحكمته وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عبادته وفيه تعليم حسن وتوقيف على أدب جميل وبعث على التيمن بالذكور والتبرك بهما، والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقي إلى السامعين وإصغائهم إليه وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغونها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ، كباراً عن كبار. هذا الألب الألب فحمدوا الله عز وجل وصلوا على رسول الله ﷺ أمام كل علم مفاد، وقيل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتنهاني، وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن وقيل: هو متصل بما

مباغثة العدو ليلاً وعن الإسكندر أنه أشير عليه بالبيات، فقال: ليس من أيين الملوك استراق الظفر. وقرئ: ﴿مهلك﴾ بفتح الميم واللام وكسرهما من هلك ومهلك بضم الميم من أهلك ويحتمل المصدر والزمان والمكان.

فإن قُلْتُ: كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه؟ قُلْتُ: كانوا اعتقوا أنهم إذا بيتوا صالحاً وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين، ثم قالوا: ﴿ما شهدنا مهلك أهله﴾ فنكروا أحدهما كانوا صادقين لأنهم فعلوا البياتين جميعاً لا أحدهما وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيهم ولا يخطر ببالهم الا ترى أنهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سؤوا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب.

وَمَكَّرُوا مَكْرًا وَمَكَّرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

مكرهم: ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح عليه السلام وأهله ومكر الله: إهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا: زعم صالح عليه السلام أنه يفرغ منا إلى ثلاث، فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه، ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب، فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحاً ومن معه وقيل: جاءوا بلليل شاهري سيوفهم، وقد أرسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون رامياً.

فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَوَجَّهْنَاهُمْ لِمَا يَكْفُرُونَ ﴿٥٩﴾

﴿أنا نصرناهم﴾ استئناف، ومن قرأ بالفتح رفعه بدلاً من العاقبة أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم أو نصبه على معنى لانا أو على أنه خبر كان أي: كان عاقبة مكرهم الدمار.

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَّمْلُئُونَ ﴿٥٧﴾ وَأَجْبَسْنَا أَلْبَانَ أُمَّرَأًا وَكَانُوا يَشْكُرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿خاوية﴾ حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر: ﴿خاوية﴾ بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف.

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفُلُوحَةَ وَأَنْتُمْ تُبْهِرُونَ ﴿٥٩﴾

﴿و﴾ انكر ﴿لوطاً﴾ أو أرسلنا لوطاً لدلالة ولقد أرسلنا عليه، و﴿إذ﴾ بدل على الأوّل ظرف على الثاني ﴿وانتم تبصرون﴾ من بصر القلب أي: تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها، وأن الله إنما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله في حكمته



بِكَ يَدَى رَحْمَتِهِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ تَمَلَّى اللَّهُ عَنَّا يَنْزِعُونَ ﴿١٣﴾.

﴿يَهْدِيكُمْ﴾ بالنجوم في السماء والعلامات في الأرض إذا جَنَّ الليل عليكم مسافرين في البر والبحر.

أَمَّنْ يَبْدُوا أَلْفَاقُ تَرُّ يَبْدُو وَمَنْ يَرْفُكُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ مَا كَانُوا بِرُؤْسِكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ مَسْذُوبِينَ ﴿١٤﴾.

فإن قُلْتُ: كيف قيل لهم:

﴿أَمَّنْ يَبْدُوا الخلق ثم يعيده﴾ وهم منكرون للإعادة! قُلْتُ: قد أريحت علمتهم بالتمكين من المعرفة، والإقرار فلم يبق لهم عذر في الإنكار ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ الماء ﴿وَو﴾ من ﴿الْأَرْضِ﴾ النباتات ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا فإين دليلكم عليه.

فإن قُلْتُ: لم رفع اسم الله والله يتعالى أن يكون ممن في السموات والأرض؟ قُلْتُ: جاء على لغة بني تميم حيث يقولون: ما في الدار أحد إلا حمار يريدون: ما فيها إلا حمار وكان أحدًا لم ينكر ومنه قوله:

عشية ما تغني الراح مكانها ولا النبل إلا المشر في المصم وقولهم: ما اتاني زيد إلا عمرو وما أعانه إخوانكم إلا إخوانه.

فإن قُلْتُ: ما الداعي إلى اختيار المذهب التميمي على الحجازي؟

قُلْ لَا يَمْلِكُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ النَّبِيَّ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَتَّبِعُونَ أَتَانَ يَتَّبِعُونَ ﴿١٥﴾.

قُلْتُ: دعت إليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله: إلا اليعافير بعد قوله: ليس بها أنيس ليؤل المعنى إلى قولك: إن كان الله ممن في السموات والأرض فهم يعلمون الغيب يعني: أَنْ علمهم الغيب في استحالته كاستحالة أن يكون الله منهم كما أَنْ معنى ما في البيت إن كانت اليعافير أنيساً ففيها أنيس بتا للقول بخلوها عن الأنيس.

فإن قُلْتُ: هلا زعمت أَنْ الله ممن في السموات والأرض كما يقول المتكلمون: الله في كل مكان على معنى أَنْ علمه في الأماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم! قُلْتُ: يابى ذلك أن كونه في السموات والأرض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وإرادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازاً، غير صحيحة على أَنْ قولك من في السموات والأرض وجمعك بينه وبينهم في إطلاق اسم واحد فيه إبهام تسوية والإيهامات مزالة عنه وعن صفاته تعالى ألا ترى كيف قال ﷺ لمن قال: ومن يعصهما فقد غوى: بثس خطيب القوم أنت<sup>(1)</sup> وعن عائشة رضي الله عنها: من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

الغيب إلا الله<sup>(2)</sup>، وعن بعضهم: أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه أحدًا لثلا يامن أحد من عبده مكره، وقيل: نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله ﷺ عن وقت الساعة ﴿إِيَّان﴾ بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالاً من أَنْ يئين، ولا يصرف وقرئ إيان بكسر الهمزة.

بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلِ هُمْ فِي شَكِّ مِتْنًا بَلِ هُمْ مِتْنَهَا عَمُونَ ﴿١٦﴾.

وقرئ بل أدرك بل إدراك بل إدراك بل تدارك بل أدرك بهمتين بل أدرك بالف بينهما بل أدرك بالتخفيف، والنقل بل أدرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل أدرك على الاستفهام بلى أدرك بلى أدرك أم، تدارك أم أدرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك أصله تدارك فأدغمت التاء في الدال وأدرك افتعل ومعنى ﴿أدرك علمهم﴾ انتهى، وتكامل وأدرك تتابع واستحکم وهو على وجهين أحدهما: أن أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة لا ريب فيه قد حصلت لهم، ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وهو قوله: بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد: المشركين ممن في السموات والأرض: لأنهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم إلى الجميع كما يقال: بنو فلان فعلوا كذا وإنما فعله ناس منهم.

فإن قُلْتُ: إن الآية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وأن العباد لا علم بشيء منه وأن وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاعم هذا المعنى وصف المشركين بإنكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة؟ قُلْتُ: لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن، ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بياناً لعجزهم ووصفاً لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزاً أبلغ منه، وهو أنهم يقولون للكائن الذي لا بد أن يكون وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به. والوجه الثاني: أن وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول: لأجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزو، وذلك حيث شكوا وعموا عن إثباته الذي الطريق إلى علمه مسلوک فضلاً أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق إلى معرفته وفي أدرك علمهم وادارك علمهم وجه آخر، وهو أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفنى من قولك: أدركت الثمرة؛ لأن تلك غايتها التي عندها تعدم، وقد فسره الحسن رضي الله عنه: باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك.

فإن قُلْتُ: فما وجه قراءة مَنْ قرأ: بل أدرك على الاستفهام! قُلْتُ: هو استفهام على وجه الإنكار لإدراك

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة (الحديث: 4855)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: معنى قول الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى... الحديث: (287 - 177).

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة (الحديث: 48 - 870).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير من سورة النجم، باب: (1) =



وأخفيته يعني: أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله ﷺ ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه.

وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾

سمى الشيء الذي يخفي ويغيب غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلة في العافية والعاقبة ونظائرهما النطيجة والرمية والذبيحة في أنها أسماء غير صفات، ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم: ويل للشاعر من راوية السوء كأنه قال: وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبتته في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة.

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يُفَعُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَفُونَ ﴿٧٦﴾

قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه أحزاباً ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضاً، وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخنوا به وأسلموا يريد: اليهود والنصارى.

وَأَنَّهُ لَمُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

﴿للمؤمنين﴾ لمن أنصف منهم وأمن أي: من بني إسرائيل، أو منهم ومن غيرهم.

إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ أَزْرَبُ الْبَلِغِ ﴿٧٨﴾

﴿بينهم﴾ بين من آمن بالقرآن ومن كفر به.

فإن قلت: ما معنى: يقضي بحكمه ولا يقال: زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه؟ قلت: معناه بما يحكم به وهو عله؛ لأنه لا يقضي إلا بالعدل فسمى المحكوم به: حكماً أو أراد بحكمته وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه: جمع حكمة ﴿وهو العزيز﴾ فلا يرد قضاؤه ﴿العليم﴾ بمن يقضي له وبمن يقضي عليه أو العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحققين.

فَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾

أمره بالتوكل على الله، وقلة المبالاة بأعداء الدين وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبصبرته وأن مثله لا يخذل.

إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾

فإن قلت: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ يشبه أن يكون تعليلاً آخر للتوكل، فما وجه ذلك؟ قلت: وجهه أن الأمر بالتوكل جعل مسبباً عما كان يغيب رسول الله ﷺ من جهة المشركين وأهل الكتاب من ترك اتباعه وتشجيع ذلك بالأذى والعداوة فلام ذلك أن يعطل توكل متوكل مثله بأن

اتباعهم أمر قد يئس منه، فلم يبق إلا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم وإذاهم وشبهوا بالموتى، وهم أحياء صحاح الحواس: لأنهم إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا أقماع القول لا تعيه أذانهم، وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينطق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم وأن يجعلهم هداة بصراء إلا الله عز وجل.

فإن قلت: ما معنى قوله ﴿إذا ولوا مدبرين﴾! قلت: هو تأكيد لحال الأصم؛ لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن يولى عنه مدبراً، كان أبعد عن إدراك صوته.

وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن صَلَاتِهِمْ إِنَّ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

وقرى ولا يسمع الصم وما أنت بهادي العمى على الأصل وتهدى العمى وعن ابن مسعود: وما أن تهدي العمى، وهاده عن الضلال كقولك: سقاه عن العيمة أي: أبعده عنها بالسقي وأبعده عن الضلال بالهدى ﴿إن تسمع﴾ أي: ما يجدي إسماعك إلا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياته أي: يصدقون بها ﴿فهم مسلمون﴾ أي: مخلصون من قوله: ﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾ يعني: جعله سالماً لله خالصاً له سمي معنى القول.

﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجناهم من دابّة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ ﴿٨٢﴾

ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعداب ووقوعه: حصوله والمراد: مشاركة الساعة وظهور أشراتها وحين لا تنفع التوبة ودابة الأرض الجساسة جاء في الحديث أن طولها ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب<sup>(١)</sup> وروي لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها: رأس ثور وعين خنزير وأنن فيل وقرن إبل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذناب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام، وروي لا تخرج إلا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبي هريرة: فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب، وعن الحسن رضي الله عنه: لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام وعن علي رضي الله عنه: أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون، فلا يخرج إلا ثلثها وعن النبي ﷺ أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال: من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني: المسجد الحرام، وروي أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن دهرًا طويلاً فبينما الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها

(١) نكره الثعلبي في تفسيره، زيلعي 19/3.

﴿يدخلون في دين الله أفواجا﴾، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة، وكذلك يحشر قادة الأمم بين أيديهم إلى النار.

فإن قُلْتُمْ: أي فرق بين من الأولى والثانية؟ قُلْتُمْ: الأولى للتبويض والثانية للتبيين كقوله: ﴿من الأوتان﴾<sup>(2)</sup>.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمًا إِنَّكُمْ سَأَلْتُمُونَا ﴿٢٧﴾ وَوَقَّعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمَ بِمَا ظَنَّمُوا فَعَمَّ لَا يُطْفِئُونَ ﴿٢٨﴾.

الواو للحال كأنه قال: اكنذبتم بها بادئ الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب أو للعطف أي: أجدتموها ومع جحواكم لم تلقوا أذهانكم لتتحققها، وتبصرها فإن المكتوب إليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ بها للتبكيك لا غير وذلك أنهم لم يعملوا إلا التكذيب، فلا يقدرين أن يكذبوا ويقولوا: قد صدقنا بها وليس إلا التصديق بها أو التكذيب ومثاله أن تقول: لراعيك وقد عرفته رويحي سوء: اأكل نعي أم ماذا تعمل بها فتجعل ما تبتدئ به وتجعله أصل كلامك وأساسه هو الذي صحَّ عندك من أكله وفساده، وترمي بقولك أم ماذا تعمل بها مع علمك أنه لا يعمل بها إلا الأكل لتبتهه وتعلمه علمك بأنه لا يجي منه إلا أكلها، وأنه لا يقدر أن يدعي الحفظ والإصلاح لما شهر من خلاف ذلك أو أراد أما كان لكم عمل في الدنيا إلا الكفر، والتكذيب بآيات الله أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني: أنه لم يكن لهم عمل غيره كأنهم لم يخلقوا إلا للكفر والمعصية، وإنما خلقوا للإيمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله:

﴿ووقع القول عليهم﴾ يريد: أن العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله تعالى: ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾<sup>(3)</sup>.

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُورًا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٨﴾.

جعل الإبصار للنهار وهو لاهله.

فإن قُلْتُمْ: ما للتقابل لم يراع في قوله: ﴿ليسكنوا﴾ و﴿مبصرا﴾ حيث كان أحدهما علة، والآخر حالا؟ قُلْتُمْ: هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف؛ لأن معنى مبصرا: ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب.

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَرَىٰ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن

على الله<sup>(1)</sup>، فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون، وقوم يقفون نظارة وقيل: تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان نلق فتقول: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ يعني: أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي؛ لأن خروجها من الآيات وتقول: ألا لعنة الله على الظالمين، وعن السدي تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام وعن ابن عمر رضي الله عنه تستقبل المغرب، فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي: تخرج من أجياد، وروي: بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعها المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى عليه السلام، فتنتكت نكتة بيضاء فتفشوش تلك النكتة في وجهه حتى يضيئ لها وجهه أو فتترك وجهه كأنه كوكب نرزي وتكتب بين عينيه مؤمن، وتنتكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشوش النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروي: فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم: يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار وقرئ: تكلمهم من الكلم، وهو: الجرح والمراد به: الوسم بالعصا والخاتم ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلم أيضا على معنى التذكير يقال: فلان مكلم أي: مجرح ويجوز أن يستدل بالتحفيف على أن المراد بالتكليم: التجريح، كما فسر لنحرثه بقرأة علي رضي الله عنه: لنحرثه، وأن يستدل بقرأة أبي: تنبئهم، وبقراءة ابن مسعود: تكلمهم بأن الناس على أنه من الكلام، والقرأة بإن مكسورة حكاية لقول الدابة، إما لأن الكلام بمعنى القول، أو بإضمار القول أي: تقول الدابة ذلك، أو هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك:

فإن قُلْتُمْ: إذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول بآياتنا؟ قُلْتُمْ: قولها حكاية لقول الله تعالى، وعلى معنى بآيات ربنا أو لاختصاصها بالله وأثرها عنده وأنها من خواص خلقه أضافت آيات الله إلى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك: خيلنا وبلاننا وإنما هي خيل مولاة وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار أي: تكلمهم بأن:

وَيَوْمَ نَخْتُمُ مِنَ كُلِّ أُمَّةٍ قَوْمًا مِّنْ كَذِبٍ يُبَايِعُنَا فَمَنْ يُؤْمِنُ ﴿٢٩﴾.

﴿فهم يوزعون﴾ يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد، وتباعد أطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله: ﴿فوجا﴾ فإن الفوج: الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى:

(3) سورة المرسلات، الآية: 35.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک 4/484.

(2) سورة الحج، الآية: 22.

شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَمْرٍ ذَرِيرٌ ﴿٨٧﴾.

قد كان الا ترى إلى قوله: صنع الله وصيغة الله ووعده الله وفطرة الله بعدما وسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله: ﴿الذي اتقن كل شيء﴾ ومن أحسن من الله صيغة لا يخلف الله الميعاد لا تبديل لخلق الله، وقرئ ﴿تفعلون﴾ على الخطاب ﴿فله خير منها﴾ يريد: الإضعاف وأن العمل ينقضي والثواب يوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل: فله خير منها أي: له خير حاصل من جهتها وهو: الجنة، وعن ابن عباس: الحسنة كلمة الشهادة، وقرئ: ﴿يومئذ﴾ مفتوحاً مع الإضافة؛ لأنه أضيف إلى غير متمكن قوله وأخرس الشقاشق في الصحاح شقششق الفحل شقشقة هذر وإذا قالوا للخطيب: نو شقشقة فإنما يشبه بالفحل ومنصوباً مع تنوين فزع.

فإن قلت: ما الفرق بين الفرعين؟ قلت: الفزع الأول: هو ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وإن كان المحسن يأمن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هيب وقلب وجاب وإن كانت ساعة إعزاز وتكرمة وإحسان وتولية، وأما الثاني: فالخوف من العذاب.

فإن قلت: فمن قرأ: ﴿من فزع﴾ بالتونين ما معناه! قلت: يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب، وأما ما يلحق الإنسان من النيب والرعب لما يرى من الأهوال والعظائم فلا يخلون منه؛ لأن البشرية تقتضي ذلك، وفي الأخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتننه الوصف وهو: خوف النار، أمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى: ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ (١).

وَمَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَكُنْتُ لَهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾.

وقيل: السبئية: الإشرار، يعبر عن الجملة بالوجه والراس والرقبة فكانه قيل: فكبوا في النار كقوله تعالى: ﴿فككبوا فيها﴾ (٢) ويجوز أن يكون نكر الوجوه إيداناً بأنهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين ﴿هل تجزون﴾ يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب بإضمار القول.

إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُتْبِعَ رَبِّكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَكِنْ كَلَّمْتُ نِسَاءً وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾.

أمر رسوله بأن يقول: ﴿أمرت﴾ أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكاً كما فعلت قريش وإن أكون من الحفء الثابتين على ملة الإسلام.

وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ مِمَّنْ أَمْتَدَّكَ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ صَلَّى فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٠﴾.

﴿وإن أتلو القرآن﴾ من التلاوة أو التلو كقوله: ﴿واتبع

فإن قلت: لم قيل: ﴿فزع﴾ دون فيفزع؟ قلت: لنكتة وهي: الإشعار بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض؛ لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون ﴿إلا من شاء الله﴾ إلا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام، وقيل: الشهداء. وعن الضحاك الحور وخرزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى عليه السلام؛ لأنه صعق مرة ومثله قوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾، وقرئ: أتوه وأتاه وخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والآخر: الصاغر وقيل: معنى الإتيان: حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد: رجوعهم إلى أمره وانقيادهم له.

وَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبًا جَائِدَةً وَيَوْمَ تُرْمَى السَّمَابُ مَطَّحًا اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَعَمَّ بَيْنَ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آيَاتُونَ ﴿٩٢﴾.

﴿جامدة﴾ من جمد في مكانه: إذا لم يبرح، تجمع الجبال فتسير كما تسير الرياح السحاب فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد ﴿وهي تمر﴾ مرّاً حثيثاً كما يمر السحاب، وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش:

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج

﴿صنع الله﴾ من المصادر المؤكدة كقوله: ﴿وعد الله﴾ و﴿صيغة الله﴾ إلا أن مؤكده محذوف، وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى: ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت أتاب الله المحسنين وعاقب المجرمين، ثم قال: ﴿صنع الله﴾ يريد به: الإثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها، وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال: ﴿صنع الله الذي اتقن كل شيء﴾ يعني: أن مقابلته الحسنة بالثواب والسبئية بالعقاب من جملة أحكامه للأشياء وإتقانه لها وإجرائه لها على قضايا الحكمة أنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه، فيكافئهم على حسب ذلك. ثم لخص ذلك بقوله:

﴿من جاء بالحسنة﴾ إلى آخر الآيتين فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماره ورسالة تفسيره وأخذ بعضه بحجزة بعض، كأنما أفرغ إفرغاً واحداً ولأمر ما أعجز القوى، وأخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمعنادي على سداده، وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما

(2) سورة الشعراء، الآية: 94.

(1) سورة الاعراف، الآية: 99.

له من الأجر عشر حسنات بعدد من صلَّق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله<sup>(6)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة القصص مكية

طَسَّرَ ﴿١﴾ يَأْتِكُ الْكِتَابَ الْغَيْبِ ﴿٢﴾ نَتَلَّوْا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾.

﴿من نبي موسى وفرعون﴾ مفعول ﴿نتلوا﴾ أي: نتلو عليك بعض خبرهما ﴿بالحق﴾ محققين كقوله: ﴿تنبت بالدهن﴾<sup>(7)</sup> ﴿للقوم يؤمنون﴾ لمن سبق في علمنا أنه يؤمن؛ لأنَّ التلاوة إنما تنفع هؤلاء نون غيرهم.

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيكًا يَسْتَضِئُ مِنْ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ يُضِيحُ بِشَأْنِهِمْ وَتَسْتَخِيحُ لِسَاءَتِهِمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾.

﴿إن فرعون﴾ جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كان قائلاً قال: وكيف كان نبؤهما، فقال: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ يعني: أرض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف ﴿شيئاً﴾ فرقاً يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوى عنقه قال الأعشى: وبلدة يرهب الجواب لاجتها حتى تراه عليها يبتني الشيعة

أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته أو أصنافاً في استخدامه يتسخر صنفاً في بناء وصنفاً في حرق وصنفاً في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقاً مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو إسرائيل والقبط، والطائفة المستضعفة بنو إسرائيل، وسبب ذبح الإبناء: أنَّ كاهناً قال له: يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بيِّن على ثخانة حمق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن، وإن كذب فما وجه القتل ﴿ويستضعف﴾ حال من الضمير في وجعل أو صفة لشيعة أو كلام مستأنف و﴿يذبح﴾ بدل من يستضعف، وقوله: ﴿إنه كان من المفسدين﴾ بيان أنَّ

ما يوحي إليك<sup>(1)</sup>، والبلدة: مكة حرسها الله تعالى اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها: لأنها أحب بلادها إليه وأكرمها عليه وأعظمها عنده وهكذا قال النبي ﷺ حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزرة استقبلها بوجهه الكريم فقال: إني أعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت<sup>(2)</sup> وأشار إليها إشارة تعظيم لها وتقريب دالاً على أنها موطن نبيِّه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فأجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بأنها محرمة لا ينتهك حرمتها إلا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا اللاجئ إليها آمن، وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتها وفي ذلك إشارة إلى أن ملكاً ملك مثل هذه البلدة عظيم الشأن قد ملكها وملك إليها كل شيء<sup>(3)</sup>. اللهم بارك لنا في سكنائها وأمانها فيها شر كل ذي شر، ولا تنقلنا من جوار بيتك إلا إلى دار رحمتك وقرئ: التي حرّمها واتل عليهم هذا القرآن عن أبي وأن أتت عن ابن مسعود ﴿فمن اهتدى﴾ باتباعه إياي فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما أنزل عليّ من الوحي فمنفعة اهتدته راجعة إليه لا إليّ ﴿ومن ضل﴾ ولم يتبعني فلا عليّ وما أنا إلا رسول منذر وما على الرسول إلا البلاغ.

وَأَنَّ لَكَدَّ لِلَّهِ سِيرِكٌ ۖ إِنَّيَهِ فَنَعْرِفُهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾.

ثم أمره أن يحمد الله على ما حوَّله من نعمة النبوة التي لا توزيها نعمة، وأن يهدد أعداءه بما سيربهم الله من آياته التي تلجئهم إلى المعرفة، والإقرار بأنها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني: في الآخرة. عن الحسن وعن الكلبي: اللخان وأنشاق القمر وما حل بهم من نعمات الله في الدنيا، وقيل: هو كقوله: ﴿سنزيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾<sup>(4)</sup> الآية. وكل عمل يعملونه فإله عالم به غير غافل عنه؛ لأنَّ الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات<sup>(5)</sup>، وهو من وراء جزاء العاملين قرئ: ﴿تعملون﴾ بالباء والياء. عن رسول الله ﷺ: من قرأ طس سليمان كان

(1) سورة يونس، الآية: 109.

(2) أخرجه ابن حبان في كتاب: الحج، باب: فضل مكة، (الحديث: 3708)، وأخرجه الترمذي في كتاب: المناقب، باب: في فضل مكة، (الحديث: 3925)، وابن ماجه في المناسك، باب: فضل مكة، الحديث: 3108، وأحمد في المسند 4/305. والحاكم في المستدرک 3/431.

(3) قال أحمد: وتحت قوله: وله كل شيء، فائدة أخرى سوى ذلك وهي: أنه لما أضاف اسمه إلى البلدة المخصوصة تشريفاً لها اتبع ذلك إضافة كل شيء سواها إلى ملكه قطعاً لتوهم اختصاص ملكه بالبلدة المشار إليها، وتنبيهاً على أن الإضافة الأولى إنما قصد بها التشريف، لا لأنها ملك الله تعالى خاصة، والله أعلم.

(4) سورة فصلت، الآية: 53.

(5) قال أحمد: قد سبق له جحد صفة العلم وإيهام أن سلبها داخل في تنزيهه تعالى؛ لأنه يجعل استحالة الغفلة عليه معللة بأنه عالم بالذات لا بعلم، والحق أن استحالة الغفلة عليه تعالى؛ لأنَّ علمه لا يعزب عنه مثقال نرة في السموات ولا في الأرض، بل هو علم قديم أزلي عامّ التعلق بجميع الواجبات والممكنات والممتنعات، ولا يتوقف تنزيهه تعالى على تعطيل صفاته وكماله وجلاله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(6) نكره الثعلبي وابن مردويه، والواحد في التفسير، زلمي 23/2.

(7) سورة المؤمنون، الآية: 20.